

مجلة علوم إنسانية

JOURNAL OF HUMAN SCIENCES



مجلة دورية محكمة تعنى بالعلوم الإنسانية

الرئيسية	عن المجلة	هيئة التحرير	قواعد النشر
بحوث ودراسات	آراء وأفكار	ندوات ومؤتمرات	مراجعة كتب
عرض أطاريح	أعداد سابقة	موسوعات	مطبوعات
مواقع ذات صلة	CONTACT US		

مجلة علوم إنسانية WWW.ULUM.NL السنة السادسة: العدد ٤٠: شتاء ٢٠٠٩ - 6th Year: Issue 40 Winter

الفدائي ياسر عرفات- في شعر الأرض المحتلة

د. زاهر محمد حنني

جامعة القدس المفتوحة/ قلقيلية

Zhanani@gou.edu•al3oroobah@yahoo.com

ملخص

ياسر عرفات (أبو عمار) الفلسطيني ، السياسي والعسكري ، الذي عاش مراحل النضال الفلسطيني قائدا ، وظل كذلك إلى أن وافته المنية شهيدا . اهتم جل شعراء فلسطين ومنهم شعراء الأرض المحتلة بسمات شخصيته التي امتزجت بمشاعرهم ، فكانت شعرا وأحاسيس ، وعبروا عنها بصيغ مختلفة لافتة كثيرة ، تحتاج إلى دراسة للوقوف على أثرها في لغة الشعر الفلسطيني المعاصر . تحاول هذه الدراسة الوقوف عندها وتحليلها ورصد تجلياتها بموضوعية ، في محاولة لفتح باب يفضي إلى آفاق واسعة _ لا ندعي فيه فضل السابق _ عل هذا البحث يقدم خدمة _ ولو يسيرة _ لواقع الثقافة الفلسطينية والعربية المعاصرة .

يتكون البحث من قسمين ومقدمة وخاتمة ؛ يتوقف القسم الأول من البحث عند ظاهرة البطولة وأبعادها ورموزها ، ومن ضمنها الفدائي في الشعر الفلسطيني المعاصر .

ويتوقف القسم الثاني عند الفدائي ياسر عرفات وتطور المفهوم في شعر الأرض المحتلة ، من خلال مراحل النضال التي عاشها ، وهي على النحو الآتي :

- من البدايات إلى القائد الأول .
- مرحلة التحول والثبات .
- الخروج من بيروت ؛ من منفى إلى منفى .

- العائد ، الشهيد .

تتخذ الدراسة التحليل النقدي منهجا في البحث ، دون إهمال ما قد يفيد البحث من مناهج نقدية مختلفة .

Abstract

The leader Arafat in the poetry of the occupied territories

The Palestinian political and militant leader , Yaser Arafat , who lead Palestinian Struggle through out his life until he died martyr .

Palestinian poet , inside and outside Paletinian were attracted by Arafats character which has always stirred their deep emotions and feeling .So we must investigate this kind of current Palestinian poetry .

This study aims to analyze the phenomemenon as objection as possible . Although this study is hot the first of its kind , it serves the purpose of shedding light on current Palestinian poetry .

This study comprises two chapter an introduction and conclusion .

Chapter one deals with the concept of theroism , its dimensions and symbols , including the notion of terms of its linguistic of conceptual meaning as used in the current Palestinian Poetry .

Chapter two deals , specifically , with Arafat the (Fida'i) and how the cocept (Fida'i) developed over the stages of struggle he waged as being dealt with by the Palestinian poets of the occupied territories . The stages include :

Early stages (First Leader) . -

Constant and variable stage . -

Exodus from Beirut (from exile to exile) . -

Threatening Fida'I, the president . -

The martyr . -

The methodology of the study is based on critical analysis .

مقدمة

لعل من المجازفة البحث في ظاهرة شعرية يكون موضوعها شخص ما، إلا عندما يكون هذا الشخص حالة خاصة أو استثنائية . إن القادة التاريخيين لا يتكررون كل يوم في أية أمة، ونادرا ما يوجد الزمان بهم ، وأحيانا يمر دهر طويل دون أن يوجدوا ، والأمة التي تحظى بقائد تاريخي إن لم تدرك قدره في حياته تكون قد ارتكبت حماقة ، تأسف لها لأزمان طويلة .

ياسر عرفات (أبو عمار) قائد تاريخي استطاع أن يحفر اسمه في ذاكرة الإنسانية جمعاء بما قدمه من نضال لقضيته الفلسطينية ، وبما قام به من قيادة الثورة الفلسطينية لعقود طويلة خير قيادة ، شهد له بها المقربون والمعارضون ، والأصدقاء والأعداء على حد سواء، فاستحق اللقب بجدارة ، مما كان له أثر في نفوس الفلسطينيين والعرب ، ظهر جليا في كل المحافل، وكان فوق ذلك كله أنه شكل ظاهرة امتدت إلى الأدب والفن ومنه الشعر ، الظاهرة التي يقف عندها هذا البحث .

كان لا بد لهذا البحث من أن يقع في قسمين ومقدمة وخاتمة ؛ القسم الأول يتحدث عن أهمية البطولة بدءا من نقطة بعيدة في تاريخنا العربي ، الأمر الذي قد يستغرب منه البعض ، وهو لا بد منه لأنه يرصد عمق علاقة العرب مع البطولة منذ عصر ما قبل الإسلام ، وبطريقة مختلفة بالطبع عما نعاصره ونعرفه في زماننا هذا ، وقد ذكرت به ليس إلا ولم أتوقف عنده طويلا لأنني شعرت بأهمية ذلك. ثم تحدث هذا القسم عن أهمية البطل ومنه الفدائي في أدبنا الفلسطيني المعاصر، ومنه الشعر، وبإيجاز أعتقد أنه كان دالا وكافيا . أما القسم الثاني فقد تناولت فيه مباشرة الحديث عن مواكبة الشعر داخل الأرض المحتلة لمراحل النضال التي عاشها القائد ياسر عرفات (أبو عمار) بدءا من مرحلته الأولى والبدايات، ثم مرحلة التحول والثبات التي أرسيت فيها قواعد العمل الفدائي الفلسطيني وما شابها من عقبات وصعوبات، وانتقالا إلى المرحلة الثالثة؛ مرحلة الخروج من بيروت، التي جاءت بعنوان من منفى إلى منفى، ثم كانت المرحلة الأخيرة وهي مرحلة العائد الشهيد، والشهيد العائد، التي قضى فيها القائد أبو عمار شهيدا، شهيدا.

حاولت خلال ذلك كله أن أكون موضوعيا وأن أنظر في النصوص ببنية ، ووفقا لمكانتها دون إجحاف لأحد ، أملا أن أكون قد حققت شيئا - ولو يسيرا - عل الفائدة تعم .

أولا : البطولة في الشعر

١- البطولة وبعض ملامحها في الشعر

برزت في الشعر الفلسطيني المعاصر ظواهر شعرية كثيرة مختلفة ومتناقضة ، وهذا ليس غريبا، فهكذا كان الشعر في جل مراحلها، لكن اللافت فيه هذا التداخل الغريب، الذي شكل ظاهرة خاصة يكاد يمتاز بها من غيره، وخصوصا في هذا الإطار الذي نتحدث فيه . تداخل في الزمان وفي المكان وفي الإنسان، حتى تصل كلها حدود التوحد في رمز واحد، هو الرمز وهو الصورة الشعرية وهو الحقيقة وهو الشاعر في آن معا، تداخل يشكل صورة مادية ومعنوية معا ، ملامحها الأولى (الفدائي) وإنجازاتها الأخيرة (الفدائي) . في الواقع وفي الشعر الذي ظل في جانب من جوانبه : فن التعبير عن الشعور بطريقة مخصوصة (١) ، وقد اتضح ذلك جليا منذ إرهابات الرمز الأولى في شعرنا العربي . فقد كان المدح في الشعر العربي يتصل بالبطولة

اتصالا مباشرا ويتخذ أشكالا تكاد تكون معروفة، فالممدوح بطل، والبطل فارس شجاع يقاتل جيشا وينتصر عليه، وهو فارس في الليل وفي الصحراء، وكريم كبحر... الخ، وسواء أكانت البطولة صفة للممدوح أم للشاعر، أم رمزا يتخذها الشاعر للتعبير عن التجربة الفردية أو الجماعية، فإن ملامحها ظلت تتراوح في إطار ملامح التجربة الشعرية العربية في عصر ما قبل الإسلام؛ منذ أن كانت قصة الثور تمثل صراعا فرديا صرفا (٢)، وكانت قصة حمار الوحش تقوم على صراع مماثل من أجل البقاء، ولكنها تتميز بمناخها الجماعي المتمثل بمسؤولية البطل عن مجموعة ممن حوله، وكذلك كانت قصة النعامه والظلم المفعمة بعواطف الأمومة والأبوة (٣)، وغيرها مما وظفه الشاعر العربي آنذاك ليرسم ملامح خاصة مرتبطة بالتجربة النفسية الخاصة به، ولذا وجدنا تشابها في الأفكار العامة واختلافا في التفاصيل (٤). ومرورا بوصف البطل في الشعر الإسلامي على امتداد عصوره، بصوره المختلفة التي كانت مرتبطة في معظم التجارب بالمدح والثناء خاصة (٥)، ولست أستطرد حين أذكر بذلك كله ف"أول التجديد قتل القديم فهما" (٦)، وغرضي إبراز صورة البطل الفلسطيني في الشعر الفلسطيني المعاصر عامة، وصورة (الفدائي) ياسر عرفات خاصة. إذ ظهرت تناقضات في مفهوم البطولة الذي يعد الفدائي أرقى أشكالها.

٢- الفدائي

ربما لم تعرف كلمة في طريقة استخدامها ودلالاتها في لغتنا العربية الحديثة مثلما عرفت كلمة (فدائي)، هذه الكلمة التي ارتبطت دلالتها في ذهن الإنسان العربي المعاصر بالثورة الفلسطينية إلى حد بعيد فأينما قلت (فدائي) يتبادر إلى ذهن المتلقي المجاهد الفلسطيني الذي يقاتل دفاعا عن وطنه، سواء أكان فلسطينيا أم عراقيا أم تونسيا أم من أي جزء عربي آخر، فالفعل الجهادي الفلسطيني العربي أعطى للفظ دلالة خاصة، مستمدة من سمات المجاهد واستعداده المتميز في الدفاع عن وطنه (وفلسطين ووطن العرب والمسلمين جميعا)، ومن الطريقة التي يؤدي بها ذلك الفعل ويتساقق هذا المفهوم مع دلالة اللفظة المعجمية حيث أنها "الفدائي: المجاهد في سبيل الله أو الوطن مضحيا بنفسه" -محدثة- (٧) ويرتبط هذا المفهوم مع ما للقضية الفلسطينية والصراع العربي-الصهيوني من تأثير في الإنسان الفلسطيني والعربي والمسلم في كل مكان، لأن فلسطين تعرضت لنوع من الاعتداء عليها، تمثل في أطماع اليهود فيها ومن ورائهم الحركة الصهيونية تدعمها الولايات المتحدة الأمريكية بوصفها قوة عظمى وبريطانيا أيضا، في بداية شهدت ضعفا عربيا وإسلاميا عجز عن صد العدوان عليها مما أتاح للعدو فرصة إقامة (دولة) وإنشاء مؤسسات وجيش وبناء ترسانة من القوة التسلحية تفوقت في المنطقة كلها. وعبر هذه السنوات الطويلة لم يركن الفلسطينيون إلى العجز والندب واللوم، بل أنشأوا ثورة مسلحة تقاتل لاسترجاع الحق السليب، ورفدوها بالأموال والأنفس حتى اشتد عودها وقويت وفرضت نفسها ممثلا شرعيا للشعب الفلسطيني. وقد مرت هذه الثورة بمراحل مختلفة في مواصفاتها من حيث القوة والفاعلية والامتداد. وربما لا نغالي إذا قلنا إن استمرارية هذه الثورة مثلما ارتبطت باستعداد الإنسان الفلسطيني للتضحية والجهاد، ارتبطت باسم بارز احتل مكان الصدارة فيها منذ الإرهاصات الأولى لها، بل منذ الرصاص الأولى، وظل كذلك خلال مسيرتها الطويلة، ذلك هو ياسر عرفات "أبو عمار". لذا فإن الحديث عن المقاومة هو حديث عن ياسر عرفات في جوانب كثيرة منه والحديث عن شعر المقاومة هو حديث عن ياسر عرفات في كثير من تفاصيله (٨). وإذا كانت "قصة المقاومة وقصة البطولة ليستا مترادفتين" (٩) فإن "بطولة المقاومة" (١٠) ظلت على الدوام سمة ارتبطت في أذهان الضمير الجمعي العربي بواقع تعيشه الأمة العربية مستمد من معطيات غاية في التعقيد والتناقض، أفرزت كلها قاسما مشتركا لمعنى البطولة. ولا يقتصر هذا الأمر على عصرنا الحديث، وإنما ظلت البطولة في مفهومها العام تعني - كما أرى - الجاهزية الدائمة للتضحية والفداء من أجل هدف سام تشكل في ذات الإنسان

عبر تراكمات طويلة تطورت وفقا لتغير دوافع التضحية ذاتها ، فتفاوتت في مستوى العطاء بما يتناسب مع مسوغاته .

٣- الفدائي في شعر المقاومة

" الشعر هو " فن المقاومة " في لحظة عبور ، نادرا ما ينتبأ بالكارثة ، وقليل ما يؤرخ للهزيمة، ولكنه دائما في خط النار، بل خط القتال الأول من الجبهة. والشعر هو فن المقاومة بمعناها الوطني ، ونادرا ما يتخذ أبعادا إنسانية شاملة ، وقليل ما يركز على أبعاد اجتماعية واضحة ، ولكنه دوما هو رسول الدفاع عن الأرض وإنسانها. لذلك كانت صورة البطولة في شعر المقاومة أقرب ما تكون إلى السيرة الذاتية للشاعر متمثلا أعماق خصائص الفرد، وأشمل جوهريات الوطن " (١١) على الرغم من أن شكري رفض تسمية شعر المقاومة الفلسطينية باسمها الحقيقي فقد سماه شعر معارضة (١٢) متخذا من تجربة درويش والقاسم وزياد وغيرهم نماذج للتمثيل على ذلك، مدللا على تلك الفكرة بقصائد حاول توجيهها مسبقا وتأويلها في ضوء رؤيته تلك ، متجاهلا أن شعر هؤلاء هو في الصميم شعر مقاومة، لكنه يتخذ المعارضة شكلا خارجيا له، ليتقي شر قرار إعدامه. أما عبد اللطيف عقل فقد أسس لرؤيا فنية في هذا الإطار عندما قال : " أنا لا أعرف من الإسرائيليين أحدا يمكن أن يقال إنه " واحد "، كل الذي أعرفه من الاحتلال أنه مجموعة من القتل وسالبي الأشياء، بما فيها الخطاب الإبداعي ، فهم إما جنود وإما حرس حدود، وإما جامعو ضرائب وإما واضعو حواجز، وإما مغلوقو مدارس وجامعات. وهذا في داخله احتلال للصورة الجمالية " (١٣) وهذا يشير بوضوح إلى أن الشاعر الفلسطيني شعر بضرورة تنويع خطاب المقاومة، إذا ما تأكد أن الاحتلال حدد ملامح كثير من أجزاء الصورة الفنية. الأمر الذي تناوله محمود درويش في كثير من أحاديثه وشعره، من ذلك قوله : " إن البحث عن حياة عادية في ظروف غير عادية هو بحث عن بطولة أخرى " (١٤) .

وقد بقيت أسئلة الثقافة الفلسطينية المقاومة مدار تحليل وجدل ونقاش، وخصوصا ما يهتم بما هو كائن وما يهتم بما ينبغي أن يكون. ولا يدعي هذا البحث أنه سيجيب عن تلك الأسئلة التي ظلت عالقة، وستظل كذلك، لأنه إذا ما تمت الإجابة عنها ستنتهي، وهذا ما لم يحدث في الشعر الفلسطيني المقاوم. لكن هذا البحث يحاول توصيف حالة خاصة في ثقافة المقاومة الفلسطينية.

الرحلة الفلسطينية طويلة وشاقة، لم تتجسد يوما في شخص، لكن الفدائي يأسر عرفات تجسد فيها، تماهى فيها فصارها، رحلة العبور الشائكة جسدتها الثورة الفلسطينية ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وعلى رأسها أبو عمار القائد منذ أن كانت.

يقال إن الشعر إذا دخل في باب الخير لان وضعف، وإذا كان سياسة لان وضعف ووهي، وإذا كان الواقع، قصر، والشعر حياة خاصة. وأتساءل : أي تناقض واختلاف يمكن أن يكون أكثر من هذا الذي نعيشه في الواقع؟! كل واحد منا يعيش حياة خاصة، أي تجربة شعرية على نحو ما، وكلنا نعيش حياة مشتركة في كثير من التفاصيل، أي تجربة شعرية على نحو آخر. لكن التجربة الشعرية تظل هي التجربة الشعرية ولا تصير الواقع. وفي ضوء ذلك يمكن أن يندرج الشعر الفلسطيني المقاوم في ثلاثة مستويات عامة :

المستوى الأول : شعر الخطابة والمباشرة ، وقد استدعته ضرورات العمل النضالي الجماهيري، وكثيرا ما يؤخذ عليه تكرار الموضوعات والأغراض والقوالب اللغوية الجاهزة وبساطة الصورة الشعرية ... وما إلى ذلك .

المستوى الثاني : شعر الصورة والرمز، وغالبا ما يكون للخاصة.

المستوى الثالث : شعر التجربة الخاصة، ويؤخذ عليه إغراقه في الذاتية.

ومن الضروري الإشارة إلى أن الفصل التام بين هذه المستويات غير ممكن دائما. فشعر الخطابة فيه صور شعرية، متفاوتة في عمقها وتأثيرها، وفيه تجربة خاصة، وكذلك شعر الصورة والرمز يمكن أن تتخلله خطابة، وفيه تجربة خاصة، والتجربة الخاصة يمكن أن تتشابه مع تجارب الآخرين ... وهكذا .

لهذا كله فإن البحث في شعر المقاومة الفلسطينية عندما يكون مركزه أحد أبطالها، لا بد من أن تتنازع آراء مختلفة بين مؤيد ومعارض ورافض، وهكذا الأمر بالنسبة للقائد ياسر عرفات، وفي هذا المقام تحضرنى قصة تلخص فكرة مهمة، وهي عن أحد قادة الثورة الفلسطينية، حيث كان في نقاش حاد حول شخصية القائد ياسر عرفات، إذ لم يكن من المعجبين بشخصية القائد عرفات، بل ويهاجمه في أكثر آرائه ومواقفه، كان النقاش في أزمة اجتياح بيروت، وعلى أشده، وعندما انتهى النقاش والحوار، سأله محاوره : في هذه الأزمة بالذات، من يمكن أن يقود الثورة كلها غير عرفات ؟ فقال له : بصراحة، أنا لا أحب عرفات، ولكن لا أحد غيره يمكن أن يقود المقاومة إلى بر الأمان، وخاصة في هذه الأزمة. وهذا الأمر أو ما يشابهه سمعته أنا شخصيا في أكثر من موقف جاد . " الفلسطينيون يختلفون معه ويتفقون ، لكنهم لا يتخيلون حياتهم إلا مهمورة بحضوره " (١٥) وإذا علمنا أن المعارضة والاختلاف حالة صحية تؤدي إلى أقرب نقطة لمركز الصواب (إذا اتخذت العقل والمنطق طريقا للحوار) فإن اختلاف بعض الفلسطينيين مع القائد عرفات كان بدوافع وطنية ولمصلحة القضية التي يعمل الجميع من أجلها .

هوامش القسم الأول

١- ينظر . ابن جعفر . قدامة : نقد الشعر ، ت . كمال مصطفى ، ص ١٥ وفيه قوله " ولا أوجز - مع تمام الدلالة - من أن يقال فيه : إنه قول موزون مقفى يدل على معنى " وكذلك (حديثا) الشايب . أحمد : الأسلوب ، ص ٦٢ قوله " إن الشعر يعبر عن العاطفة والفكرة ويتخذ الخيال المصور ، والعبارة الموسيقية ، وسيلة إلى هذه الغاية البيانية ... " . لذا قلنا (بطريقة مخصوصة) .

٢- ينظر مثلا: لامية ليبيد بن ربيعة ، ديوانه ، ت : د . إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ ، ص ٢٧٠ ، ومنها قوله :

قتال كمي غاب أنصاره ظهره ولاقى الوجوه المنكرات البواسلا

ورائية كعب بن زهير ، شرح ديوانه ، صنعة : أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٥٠ ، ص ١٦٩ وما بعدها ، ومنها قوله :

ما أرى ذائدا يزيد عليه غاب عنه أنصاره مكثورا .

٣- ينظر . القيسي . نوري حمودي وزملاؤه : نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام - دراسة وتحليل - جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٣٣ وما بعدها .

- ٤- ينظر . الجاحظ : الحيوان ، ت: عبد السلام هارون ، مصر ١٩٤٥ ، ج/٢ ، ص٢٢٠ . و . ناصف . مصطفى : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/٢ ، ١٩٨١ ، ص٧٥ وما بعدها .
- ٥- ينظر . ضيف . شوقي : تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي - ج/٢ ، ص٢١٥ وما بعدها ، والعصر العباسي الأول - ج/٣ ، ص٢٩٠ وما بعدها ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ .
- ٦- الخولي . أمين : فن القول ، دار الفكر العربي ، ١٣٦٦- ١٩٤٧ ، ص١٤٢ .
- ٧- الوسيط : باب الفاء ، مادة فدى .
- ٨- ينظر . مركز الإعلام والمعلومات ، وفيه "محطات مهمة في حياة القائد ياسر عرفات" (موقع الشبكة العنكبوتية) .
- ٩- ١٠ - شكري . غالي : أدب المقاومة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط/٢ ، ١٩٧٩ ، ص٢١-٢٢ .
- ١١- م.س ، ص٣٥١ .
- ١٢- م.س . ص٣٩١ ، إذ يقول : وينبغي أن نكون منصفين للحقيقة ولا نطمأن أنفسنا فنقول إن المقاومة الوطنية بمعنى تحرير الأرض من آثار الأجنبي لا تخطر على بال الشعراء الفلسطينيين المقيمين في ظل الإرهاب الصهيوني .
- ١٣- أبو خشان . د. عبد الكريم وزملاؤه : محاورات عقل في الأدب والثقافة ، المركز الثقافي الفلسطيني - بيت الشعر - ، ط/١ ، ١٩٩٩ ، ص١١٦ .
- ١٤- مجموعة : محمود درويش المختلف الحقيقي ، المركز الثقافي الفلسطيني - بيت الشعر - ط/١ ، ٢٠٠٠ ، من حوار مفتوح مع الجمهور الفرنسي ، ص٣٤٦ .
- ١٥- دحبور . أحمد . أبو عمارنا ، مقال في مجلة الأسوار ، مؤسسة الأسوار ، عكا ، ط/ع ، ٢٧ ، ٢٠٠٥ ، ص٥٦ .

ثانيا : الفدائي ياسر عرفات في الشعر

١- من البدايات إلى القائد الأول

لم يحظ ياسر عرفات في بدايات انطلاق الثورة الفلسطينية بذيوع الصيت، على الرغم من أنه شكل حالة خاصة في القيادة امتازت بالقدرة على صياغة المنهج واتخاذ القرارات التي تعبر عن ضمير المجموع ، حتى عندما لم يكن الرجل الأول في الثورة، وكان الشعر الفلسطيني آنذاك يعبر عن حالة جماعية، البطل فيها ليس فردا بعينه، فكل من يحمل السلاح ويقاوم بطل، لأن الهزائم التي منيت بها الأمة العربية جعلتها في حضيض، وكل حالة تعمل للخروج منه هي بطولة، فردية كانت أم جماعية. وياسر عرفات كان حالة متميزة في ذلك كله، غير أن الشعر لم يتغن بشخصه، مثلما كان يتغن به بوصفه جزءا من الثورة كلها ومن حركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح " خاصة التي أنشأها مع مجموعة من المقاتلين، وقادها وجعلها تحتل مكان الصدارة في حركات التحرر المعاصرة العربية والعالمية(١). لذا ظل الشعب هو القائد، يقول الشاعر صخر حبش في قصيدة مؤرخة العام ١٩٧١ (٢):

في غزة ليس هنالك رمز أو قائد

فالشعب

الشعب

الشعب

هو القائد .

ويؤكد هذه الفكرة غير شاعر، يقول الشاعر الشهيد علي فرج (٣):

فكانت فتحنا ميلاد شعب وبات رصاصنا منا الجوابا

على الرغم من أن الحالة النضالية الجماهيرية الفلسطينية ظلت تبحث عن قيادة منقذة في وقت غياب الزعامات العربية، التي أخفقت في الدفاع عن عروبة فلسطين، فصارت الدنيا في نظر الفلسطينيين بعد ضياع وطنهم " جهنم الكافرة "، والهزيمة أمر قاتل، فنحن أمة لها تاريخ عريق وينبغي ألا يكون لها هذا السقوط المذل في وحل الهزيمة (٤) :

نناديك من آخر الآخرة !

فمد يديك

لقعر جهنمنا الكافرة ..

وخذنا إليك !

نناديك، والبحر دوامة

بدون قرار

وبعض شراع يحشرج في اللج :

أين الفرار ؟!

ننادي وفي جذع تاريخنا تحز الهزيمة .

في المقابل وجدت " فتح " التي تزعمها أبو عمار، والتي صدحت الحناجر تغني لها في الأرض المحتلة وخارجها، والتي رأت فيها وفيه ثورة وقائدا مناضلا، كشمعة تضيء ليل المقهورين، تستحق أن تتزين بأكاليل النصر في زمن الهزيمة، كما تقول الشاعرة زينب حبش، في قصيدة مؤرخة العام ١٩٦٨ - نابلس - (٥):

إليكم من هنا

من تربتي السمراء

باقات من الزهر
أقطفها وأجدلها
أكاليا من النصر ...
وفيها تقول أيضا :
أزينها أكاليل البطولة
بالجباه السمر
ومن أنفاسكم والجرح
أرويهما
أعطرها بأغلى عطر
إليكم إخوتي
يا إخوتي
يا فتح .

وزينب حبش من الشاعرات الفلسطينيات اللواتي تميزن بأنفاسهن الثورية المقاتلة ، عبر عشرات السنين من عمر الثورة الفلسطينية، والتي وجهت قصائد كثيرة مباشرة للقائد الفدائي ياسر عرفات (٦).

وقد تميزت هذه المرحلة بالتعبير المباشر عن أثر الهزيمة، وانشغال عرفات ومعه قيادات الثورة بتنشيط الحق في وجود ممثل شرعي للشعب الفلسطيني ، بديل عن الأنظمة التي كانت سببا في الهزيمة. ويمكن أن ندعي أن هذه المرحلة تمتد من الخمسينيات إلى العام ١٩٦٩ عندما انتخب أبو عمار رئيسا للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية.

٢- مرحلة التحول والثبات

عاشت الثورة الفلسطينية في هذه المرحلة مخاضات عسيرة، معبرة عن هذيان العصر الذي وقف أبناؤه (يتفرجون) على مذبحه شعب أعزل، طرد من وطنه، ولوحق في غربته بين أشقائه وأبناء جلدته – فكان الخروج الثاني وكان الخروج الثالث؛ من الضفة الغربية وغزة ثم من الأردن، وعلى الرغم من أن سطوة الجلادين هنا وهناك كانت أقبح ما تعرض له الفلسطينيون المنفيون، إلا أنهم استطاعوا أن يحفروا في ذاكرة عمان وبيروت بعد جبال فلسطين سفرا خالدا في تاريخ الأمة العربية والإنسانية، شكل حالة نادرة وخاصة، أصبحت مثالا يحتذى من لدن كل الشعوب الطامحة إلى الحرية والاستقلال. وانعكست هذه المرحلة في شعر المقاومة في الأرض المحتلة. لكن ما يلفت النظر قلة النماذج فيها على الرغم من كثرتها، وذلك بسبب ضياعها، فالنشر ممنوع بأمر الحاكم العسكري الصهيوني، وإن أجاز النشر يعمل مقص الرقيب في القصائد جيئة

وذهابا، فتصل إلى القارئ مشوهة أيما تشويه، وعلى الرغم من ذلك كله وصلت إلينا قصائد عكست جانبا مهما من رؤى شعراء المقاومة، وبرغم خصوصيتها إلا أنها امتازت بالعفوية والمباشرة والابتعاد عن الرموز الغامضة أحيانا، بسبب انشغالهم قبل الرد الفدائي بتأصيل حجة البقاء في الأرض ضد الرحيل، فلا يحتاجون إلى رموز شمولية، وهم محتاجون إلى المباشرة، إنهم مضطرون غالبا إلى تسمية الأشياء بأسمائها، وإذا عمدوا إلى الرموز فليس لضرورة فنية دائما، بل قد تكون ضرورة احترازية كما يصفها مطاع الصفي (٧). ولذا لن نجد في كثير من القصائد كما في المراحل الأخرى الاسم المباشر لياسر عرفات، وسنجد رمزا، نؤوله في كثير من الأحيان، فالقائد هو الثورة والثورة هي الفلسطيني، والفلسطيني طير له فصيلان؛ فصيل مقيم، وفصيل يطوف في الآفاق بحثا عن حرية (٨) :

قل لي يا طير.. وقد طاروا وخت من مجدهم الدار

وظللت بعشك معتصما تجري من تحتك أنهار

لا تأمن يوما لغريب.. فالزمن لنيم.. غدار..

وفي كثير من قصائد المقاومة كان أبو عمار هو فتح وكانت فتح هي أبو عمار، وكانا الريادة للقاء، السباقين فيه، هاتكي أزر الظلام، هما الضياء والشروق، والتاريخ العريق، وهما العنقاء التي تنهض من الرماد (٩):

فتح أنا ما ضقت يوما بالعطاء، ولن أطيع

وأنا العصي على الغناء، أنا البقاء، أنا الفنيق

كانون يشهد والكرامة والعدو مع الصديق

وتناغما مع أصوات المدافع والرشاشات والقنابل، كانت أصوات قصائد المقاومة تهدر للحق ولا تلين قناتها، فهي التي لها (١٠) :

هتفت أمتنا في عز للفتح وياسرها بحنين

وهكذا كانت المرحلة الثانية قد بدأت من التحول حيث البحث عن أفق يتسع لتطلع الإنسان الفلسطيني، إلى الثبات، إذ كان القائد أبو عمار قد توج هذه المرحلة بوقوفه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة العام ١٩٧٤ في نيويورك ليروح في كلمته الشهيرة بغصن الزيتون بيد وبالبنديقية باليد الأخرى، وفي مرحلة شديدة الحساسية حيث الاختلاف الذي قاد إلى نزاع قادته وغذته الطائفيات البغيضة بعد أن استقرت الثورة في لبنان، الأمر الذي تصدى له شعراء الأرض المحتلة الذين يتتبعون الأحداث في لبنان بدقة ويألمون لما تواجهه الثورة الفلسطينية، ويعيبون على الحكام صمتهم الخائن، ويعلون شأن ثورتهم الصامدة الصابرة. يقول خالد نصر (١١) :

وأبصرتهم والأفق يرعد ملؤه

نسور تحدث داهمات العواصف

فلم أر إلا زمرة تلثم الثرى

وعرنيها يحكي جلود السلاحف

٣- من منفى إلى منفى (الخروج من بيروت)

هذه المرحلة من أشد المراحل فتكا بالثورة الفلسطينية، إذ وقف الفلسطيني بكل شموخ وإباء وشمم، في وجه العدو الغاشم المدجج بأعتى أسلحة القتل والدمار، وفي وجه ألوان الطائفية الهزيلة المقيتة، وفي وجه أنظمة الردة والخيانة، ليعلن عن وجوده الأبدي وعن إصراره على مواصلة النضال الأسطوري لتحقيق الحلم الفلسطيني. وربما لهذا كله كانت هذه المرحلة من أكثر المراحل التي وقف الشعراء عندها طويلا، على اختلاف مشاربهم الفكرية، وسواء أكانوا من فلسطيني الداخل أم الشتات، ليعلنوا بصوت واحد عن موقف واحد : نعم للثورة الفلسطينية ولا لطواغيت العصر، وليعروا زيف الشعارات (الإنسانية) التي تتلفع بها دول وحكومات ومؤسسات عالمية تدعي البحث عن سبل للسلام. ويتحول الشعر الفلسطيني إلى ملاحم قاربت إلى أدنى حد بين الأسطورة والواقع. فعلى الرغم من فداحة المذبحة وقف الفلسطيني كطود شامخ في مهبط العاصفة، وعلى الرغم من تلال الجثث المتراكمة هنا وهناك، نهض الفلسطيني كعنقاء؛ ليعلنها مدوية (١٢) :

لا شيء يكسرنا

وتتكسر البلاد على أصابعنا كفخار ، وينكسر المسدس من

تلهفك .

انتصر ، ...

وظلت صور البطولة بأبهى تجلياتها في شخص القائد وفي رمز القائد، وربما ظلت قصيدة " مديح الظل العالي " لمحمود درويش من أشهر قصائد الخروج من بيروت في المنفى. أما في الأرض المحتلة فقد ظهر شعر له نكهة خاصة، بعضه لم يكن جديدا في شيء إلا انه كان يصدر من تحت نير الاحتلال البغيض، من وسط زنازين القهر، تخرج الكلمة فيه من بين سوط الجلاذ ورصاصة القناص الراصد لكل حركة فلسطينية ولكل سكنة فلسطينية، ولكل نفس فلسطيني، وأن يوضع هذا الشعر في ميزان النقد مع قصائد قيلت في ظروف مختلفة تماما فذاك الإجحاف بعينه. هم الشعر هنا أن يكون كلمة مقاتلة، ومعنى هذا أن الشاعر قد يغتال في أية لحظة لقصيدة قالها مصرحا فيها باسم الثورة وقادتها، وكم شاعر أو أديب أو كاتب تمت تصفيته بسبب قصيدة أو قصة أو مقال، فأصبحت الكتابة هي التحدي بعينه لآلة البطش والقمع الصهيونية، لذا كانت قصائد الأرض المحتلة هي القصائد المقاتلة بالدرجة الأولى، وبالطبع لم يسلم من ذلك فلسطينيو المنافي، والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن شعراء الأرض المحتلة هم في المقدمة لأنهم في المواجهة المباشرة.

قصيدة " الخروج " للشاعر محمد شريم واحدة من أبرز قصائد الخروج الفلسطيني من بيروت، فنا ومضمونا، قصيدة ساوت بين الفدائي القائد والفدائي المقاتل، بين الإنسان

اللسطيني الذي يعيش المأساة على أرضه والذي يعيشها في المنافي، قصيدة تنبأت مبكرا بأن الخروج من بيروت هو أول الطريق إلى القدس، إذ تؤكد ما جاء على لسان عرفات (وهو المخاطب في القصيدة) عندما سئل بعد الخروج من بيروت إلى أين تذهب ؟ فقال : إلى القدس . العبارة التي عدت آنذاك من المفارقات الغريبة العجيبة التي لم تتساق مع واقع الحال ، يقول شريم (١٣) :

خذلتك الردة ،

فاخرج يا نبضة جرح الفقراء

المصلوبين المسحوقين إلى الواحة

كيما تدخل بيروت ومكة

والقدس قنيا ..

اخرج من بيروت نبيا ..

الصمود ذروة الجهاد، أبو عمار الفدائي الفلسطيني الذي استنفذ الوسائل المادية كلها قبل أن يتوجه إلى الوسائل المعنوية في بيروت وغيرها، فظل المعبر الواضح عن الإرادة التي لا تستنفذ وسائلها، والصمود الأسطوري في بيروت صورة من صور الصمود الفلسطيني في الأرض المحتلة، وعدد أيام الصمود ليس هو الأهم وإن كان مهما، ولكن الأهم هو فكرة الصمود التي تجعل العبيد؛ عبيد الفكرة الصهيونية الغاشمة العنصرية، وعبيد التنازل والتخاذل، وعبيد المتع الشهوانية، يذهبون إلى الجحيم، وتتصاعد ذروة النشيد الفلسطيني مع استمرار الصمود، والانتقال من مرحلة إلى أخرى (١٤) :

لكنما خمسون يوما أو تزيد ..

ستون يوما أو تزيد ..

سبعون يوما أو تزيد ..

فلتنحدر إلى المأساة والمرثاة

أعين العبيد ..

وما لدى كل المتاحف ..

دمى السلفان والأطيان ، وقلاع

رقعة الشطرنج والهيبيد

سر ..

ولتشتعل على أبواب " المدرج "

الحصين ، وفي أزقة " الحمراء "

ذروة النشيد ..

ومن قصائد التحدي المقاتلة قصيدة مؤرخة العام ١٩٨٥ للشاعر محمد أحمد جاموس بعنوان " الأخ أبو عمار " في وقت كان فيه ذكره جريمة يعاقب عليها قانون المحتل الصهيوني، وكتب الشاعر تحت العنوان (وقد ازدانت أوائل الأبيات بأحرف اسمه الحبيب) وكأنه التحدي الغاضب للمحتل والحب العارم للقائد الرمز، فهو أبو الفداء، في شخصه ورمزه الأدب والفروسية، والبندقية المقاتلة، كريم في العطاء لوطنه، بخيل في التنازل عن ذرة من تراب وطنه، هو المعتصم وصلاح الدين في الوقت الذي عز وجود هؤلاء القادة التاريخيين في حاضر الأمة (١٥) :

الله أكبر ما أسمى الفداء ومن

تجشموا فيه ألوانا من الغمم

دلت شمائلهم عن نبلمهم وسموا

فوق السماك وفاقوا ذروة النجم

ناهيك أنهمو في الجود فيض ندى

وفي المعامع بركان من الحمم

أدوا ولاء لأولى القبلتين كما

قد أبرموا العهد مشفوعا مع القسم

أن لا تنازل عنها قيد أنملة

وجددوه مرارا في خضم دم

لا أنظم " الرمز " بل دأبي الصراح أنا

فيما يخطيراعي أو يفوه فمي

امتدت هذه المرحلة حتى العام ١٩٩١، إذ حدثت نقلة نوعية في تاريخ القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية تمثلت بالدخول في مباحثات لاتفاقيات لتسوية القضية الفلسطينية اكتملت بتوقيع اتفاق إعلان المبادئ بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل يوم ١٣/٩/١٩٩٣.

يمكن تقسيم شعراء الأرض المحتلة تبعاً لهذا الأمر إلى قسمين عامين لهما فروع تفصيلية؛ قسم أيد الخطوات التي اتخذتها قيادة منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها أبو عمار، وقسم رفض تلك الخطوات. والشعراء في ذلك عبروا عن نبض الواقع الفلسطيني بدقة متناهية، ولكل من الموقفين ما يسوغه وما يؤيد رأيه، ولست بصدد مناقشة هذه المسألة، وسأكتفي برصد شعر من كلا الجانبين.

الاتجاه الأول : وهو اتجاه وقف إلى جانب القائد ياسر عرفات مؤيداً له في كل خطوة يخطوها وفي كل قرار يتخذه، على الرغم من وجود من يؤيدونه ولكن ليس في كل شيء، وهنا لا أقصد المناضلين في حركة "فتح" وحدها وإنما هذا يعكس على التيارات المناضلة والمجاهدة في الثورة الفلسطينية؛ داخل منظمة التحرير وخارجها.

من هؤلاء الشعراء من وقف إلى جانب عرفات في كل شيء مؤيداً ومناصرًا ومؤازراً، ومتشدداً أحياناً، ولسان حالهم يقول: إن الثورة رسول سلام في الأصل وهي هداية للناس من كل شر، وهي لا تقتدي بالأشرار (ممثلين بالصهاينة) والظالمون ليسوا قدوة لها، لكنهم إذا "جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجَنَحْ لَهَا" (١٦) فالثورة لم تهدف يوماً إلى القتل بقصد القتل، ولكنها تقاتل دفاعاً، وما دام هؤلاء الأعداء اختاروا الحوار وأعلنوا أنهم يريدون السلام، فلا ضير في سلام يحقق شيئاً من كرامة للإنسان الفلسطيني ولعله يكون طريقاً لتحرير الأرض والإنسان من رجس المحتل ودنسه، وليس الأمر بهذه البساطة التي أعرض لها في التحليل، ولكنها معقدة حيث تندرج في إطار ما يختلف وما يأتلف من أفكار العامة ومشاعرهم وأحاسيسهم ورؤاهم، فكل فرد وكل مجموعة تفكر بالأمر على نحو مؤتلف، ولكنه مختلف عما تفكر به المجموعة الأخرى وهكذا. القضية تتعلق بمصير شعب وأملاك أمة، والقرار فيها للجميع، والثورة التي ناضلت لسنوات طويلة من حقها الآن أن تتخذ قراراً مصيرياً يتعلق بوضع أسس لدولة في المستقبل. وفي جانب آخر يتعلق الأمر بموازين القوى التي تميل بشكل لافت لصالح العدو ومناصريه ومن يقفون خلفه مساندين وداعمين، وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية، التي سميت راعية للسلام في الشرق الأوسط، الأمر الذي لم ير عربي واحد - خارج أطر الحكومات الرسمية - صحة له، فأن تكون راعية للسلام يعني أن تكون محايدة، والولايات المتحدة لم تكن كذلك، وموقفها المؤيد لإسرائيل ليس سرا وإنما هو علني، ولا جدال فيه، ولست هنا أعرض فكرياً سياسياً، فهذا ليس من أهداف البحث وإنما الشعر الذي أتناوله كله سياسة ولا بد من التمهيد له.

يقول الشاعر مرزوق بدوي (١٧) :

هذا نديم الفجر قد شحذ القنا

واختار أغنية السلام لفاك

غصن على راح الجبين يغازل

لحن الخلود ومائلات صباك

وفيها يقول:

فتمايلي يا صفوة وتقاذفي

أوتار أروقة القلوب وحاكي

كتب السلام إذا تجمهر قصدها

أو غادري .. إن ظل صبح سواك

فالشعب لن يرضى بغير طلابه

والعشق لن يحيا بغير هواك

هذه القصيدة المؤرخ ١٩٩١/٩/٣٠ بمناسبة انعقاد مؤتمر السلام في مدريد، تشير بوضوح إلى رغبة جامعة عند الفلسطينيين للسلام، ولكنه السلام الذي يعيد الحقوق إلى أصحابها، وليس السلام الذي يحقق أمن الإسرائيليين فقط . والفلسطينيون ممثلون بقائدهم عرفات (نديم الفجر) اختاروا الجنوح للسلام من موقف القوي الواقف المتسلح بإرادة الشعب الصامد والانتفاضة المناضلة الباسلة، والراغب في الأمن والسلام، وشقائق النعمان وإزاحة القيود الفتاكة عن أيدي الشعب الطامح للحرية، الشعب الذي لن يرضى بغير تحقيق هدفه المنشود (حب الأرض والبقاء فيها) .

والقصيدة التي جاءت في اثنين وثلاثين بيتا، وإن تكن تقليدية في شكلها وفي معظم أفكارها إلا أنها استطاعت أن تلخص فكرة مهمة تعلق بها كثيرون من أبناء شعبنا الفلسطيني المقاتل المتطلع إلى الحرية والاستقلال. كما أنها تلخص توجهها مهما مؤداه الوقوف خلف القيادة الشرعية التاريخية التي انتزعت حقها في تمثيل الشعب انتزاعا وخصوصا أمام المؤسسات والمحافل الدولية في العالم كله.

وقد قرأنا هذه الأفكار كثيرا في قصائد الأرض المحتلة، الأمر الذي يضيق المجال عن استيعاب تحليله جميعه، وخصوصا وسط هذا الحشد الكبير من القصائد التي بين يدي، وألفت الانتباه إلى أن الأمر ذاته عرض له شعراء شعبيون كثر أيضا مما يشير إلى انسجام الأمر مع موقف العامة من أبناء شعبنا الفلسطيني، ومع المخيلة الشعبية المباشرة (١٨).

وبعيدا عن القصائد التقليدية في هذا الاتجاه، هناك قصائد كثيرة يضيق المجال عن استيعاب تحليلها، وأكتفي بذكر أمثلة لها، والوقوف عند نموذجين، ورصد ما جاء فيهما متعلقا بموضوع البحث؛ النموذج الأول تمثله قصيدة (أبونا) للشاعر المتوكل طه، والنموذج الثاني تمثله قصيدة (السندباد يكشف عري العواصم) للشاعر عبد الناصر صالح.

دأب كثير من الباحثين على استجلاء ظاهرة استخدام الأسطورة والرمز في الشعر المعاصر، وتوصيفها، واستقراء دوالها ودلالاتها، في سعي حثيث للكشف عن جوانب الظاهرة بمستويات مختلفة كثيرة، تدور في معظمها حول ماهية الأسطورة والرمز بين المنشئ والمتلقي ومشكلاتها (١٩) . وينفق الجميع على انقضاء المشكلة إذا عثر في النص على مفتاح للأسطورة أو رموزها، الأمر الذي يقود إلى حل الدلالات وتأويل بعض روابطها، والوصول إلى رؤى تتشابه في كثير من جوانبها مع وعي الشاعر وقصده، وربما يتفق كثير من الباحثين على آلية تصلح لقراءة النصوص المختلفة، تقوم على وعي تاريخ الرموز ومقاربتها مع واقع ما، وتأويلها وتأليف قصة ثالثة (الأولى قصة الرمز الأسطوري المتداولة، والثانية قصد الشاعر، والثالثة تأويل المتلقي) رموز كثيرة أصبحت مألوفة عند المتلقي بسبب تكرارها مع كثير من التشابه عند الشعراء، ويستثنى منهم أولئك الذين استطاعوا خلق دلالات جديدة في كل مرة يستخدمون فيها الرمز نفسه، أو استطاعوا توليد دلالات من سياقات جديدة، أهلتهم لها تجربتهم الطويلة المتنامية.

الفدائي الفلسطيني رمز أسطوري؛ في بداياته التي جسدت تحديا وخروجا على المألوف (المتسم بالرضا بالواقع كما هو، والقبول بالركون إلى البكاء على أطلال أمجاد العرب، والماضي أفضل من الحاضر والحاضر أفضل من المستقبل) وكان رمزا أسطوريا في قتاله بأسلحة بدائية ضد أسلحة متطورة، وفي صموده وتحديه للموت نفسه، وفي نفيه وطرده وصبره، وفي قيامه من بين الرماد أشد وأقوى، وفي عودته. كل فدائي فلسطيني كان رمزا من رموز الأسطورة الفلسطينية، وأبو عمار كان كل هذه الرموز معا، كان أسطورة واقعية تجمع في تفاصيلها كل الرموز، وكل معانيها وهكذا كان في قصيدة المتوكل طه (أبونا)، التي توجت سلسلة من القصائد تستحق دراسة منفصلة وحدها، لترصد تلك العلاقة الخاصة بين الشاعر والقائد التي برزت بجلاء في تلك القصائد، وهي ليست كقصائد المتنبي في سيف الدولة، مع أنني قرأت في مجموعها كثيرا من المعاني التي تشير إلى عمق العلاقة المشابه لعلاقة المتنبي بسيف الدولة، الأمر الذي ينبغي التنبيه له عند دراستها معا. ويمكن النظر في عجالة في ديوانين هما: (فضاء الأغنيات) و(حليب أسود) وفي قصائد بعينها، مثل قصيدة (الخروج إلى الحمراء) وقصيدة (ريح النار المقبلة) ومؤخرا قصيدة (الفلسطيني) وقصيدة (أبونا) لتبين خصوصية تلك العلاقة وخصوصية تلك القصائد للوصول إلى الاعتقاد بأنه الأبرز من بين شعراء فلسطين الذين كان عرفات موضوع شعرهم، سواء ذكر أبو عمار صراحة فيها أم لم يذكر (٢٠).

عنوان القصيدة قصيدة وبيت القصيد، إذ إن إحالات العنوان كثيرة، يدركها القاصي والداني مع بساطة التعبير، وامتداد المعنى؛ أبونا وقدسية الدلالة عند المسيحيين، إذ يمثل مع (الابن والروح القدس) ثالث المعتقد وعمق الإيمان، وتواصل العلاقة بين المادة والروح ليشكل قمة الهرم في معاني العلاقة بين الخالق والمخلوق. وأبونا، الأب الحقيقي الذي تقابله الأم، الأم التي كانت في معظم دلالاتها في الشعر الفلسطيني المعاصر ممتزجة بعمق مع الأرض، أن أن يكون لها معادل في الفكر الجماعي الفلسطيني، يستحق أن يكون معادلا بما مثله من أهمية لم توازها أهمية أخرى. وأبونا، في الوعي الجماعي العربي عموما صاحب الكلمة الفاصلة، والقرار الصائب، فالمجتمع العربي عموما - ومنه الفلسطيني - مجتمع أبوي. وأبونا، قائدنا، والضمير (نا) يشير بالضرورة إلى الجميع. وأبونا، الذي رضينا به مع أننا لم نختره، وإذا ما خيرنا لا نختار غيره. وأبونا لفظ مفتوح على دلالات ليس لها حصر، ولا ينبغي أن يطلق هذا اللفظ إلا على من يستحقه ماديا ومعنويا، وأبو عمار استحق أن يكون (أبونا) في عنوان قصيدة المتوكل طه، ولكن لماذا؟ .

أربع عشرة مرة حاول الشاعر أن يجيب عن هذا السؤال، ثلاث عشرة مرة كرر اللفظة في القصيدة وواحدة هي العنوان. أقول ولا أخفي أنني شعرت مع بداية قراءتي للقصيدة أن الشاعر هجم على موضوعه هجوما مباغتاً لم أستسغه، وعندما اصلت قراءة القصيدة بدأت تدريجياً أشعر بتصاعد وتيرة الدلالات مع كل تكرار للفظه ومع ما بينهما، وسأحاول توضيح ذلك على النحو الآتي :

أبونا في العنوان: دلالات مفتوحة. أبونا في المرة الأولى - بداية القصيدة - لم نر منه غير الندى - فهو الذي يخاف علينا -، لأنه - له قلب طفل، و - يرى النبيين، و- له ألف يوسف في الأرض، وهو يربي سنابله، و- يرى الأرض، فقد - جاء للبيت، ثم - مضى للأساطير، وهو الذي - فك أزرار الغواية، ولأنه كذلك - فهو (أبانا) بالنصب، له مزاج عصي، ثم أبونا ... ، ثم - يصدق رؤيا ييوس

نحن، هنا، في الأرض المحتلة، لم نعرف عرفات عن قرب – ماديا -، لكننا رأينا أجود ما فيه (الندى)، لأنه أصيل كبحر يافا، وذو رؤيا ثاقبة وجبهة شامخة كصقر، يحب، ويبنى، وينام، ويغيب، فهو إذن يخاف علينا (٢١) :

أبونا الذي لم نر منه غير الندى

جاء من بحرنا اليافوي .

له عين صقر وجفن علي .

يحب الطريق المزنر بالزيت والترجس الموسمي

وبيتا بناه على صخرة،

قد ينام به ساعة،

أو يغيب مع الغيب مثل النبي .

مع دفقة التوصيف الخارجي الأولى، التي ظننتها للوهلة الأولى (هجومًا)، امتزجت دفقة من المشاعر التي قد يخيب أمل الماديين في إثباتها جدليا؛ لأنها تحس ولا تلمس، ومع ذلك يمكن القول إن تواتر الأفعال بعد (أبونا) (أبونا - لم نر ، جاء ، يحب ، بناه ، ينام ، يغيب) مع الأسماء الدوال (الضمائر الحاضرة) في (منه، له ، بناه) والغائبة في (جاء ، يحب ، ينام ، يغيب) تشكل حالة حضور كلي - مادي ومعنوي - تُحسُّ وإن شئت تلمس. وتتوج بخوفه علينا منا (من اللوز والتين والبلد الأمين) إذا لم نكن في حصن منيع ضد (رفقة الجرح)، فنحن لسنا سواء في تعاطينا مع الواقع، وقد يكون بعضا مفرطا (يفيض) (فيغرق الدار) التي (بناها - معنا- على صخرة)، فهو يتطلع ببعده نظر إلى ما قد يكون، وسواء أكننا جميعا معه في رأيه أم غير ذلك فهو يخاف علينا جميعا، ذلك كله لأن له قلب طفل وكف السحاب. في كل مرحلة من مراحل القصيدة يتوج الشاعر دفقة الدلالات المتناثرة بتداخل فني مؤثر، مؤداه الولوج عميقا في قلب الرموز واحدا إثر واحد ويستل منه قاسما فنيا موازيا لإحساسنا، ليسلمه إلى مرحله ثانية، وهكذا . حتى يقول (٢٢) :

... فإن أبانا له كالمياه مزاج عصي ..

بنى قاربا من جروح الشهود ،

وحط على تلة للفهود

وحين تمادى الرغاء

وأثقلت الريح بالموميا

تعالى على كل هذا العواء

وفوق وحول الردى العنصري

أبونا ..

أبونا يصدق رؤيا يبوس

وبشرى العصافير

واللون في الدفتر المدرسي .

ولعل هذه القصيدة في شكلها لم تخرج عن إطار الشعر الفلسطيني المعاصر عامة، كما لم تخرج عن شكل قصائد المتوكل، فهي مألوفة في ألفاظها ولغتها عموماً، في موسيقاها، وقوافيها، وتقرب من السهل الممتنع. إلا أن لها خصوصية في غير ما ذكرت يمكن أن تتلخص بما يأتي :

أولاً : القصيدة تلخص قصة والقصة هي حكاية شعب، والشاعر من الشعب، يخاطب القائد بدفء، ويسترسل في الخطاب، دلالة استمرار سماع صوته من لدن القائد (عبر سلسلة طويلة من القصائد - كانت قصيدة " أبونا " آخرها في حدود علمي -) مع أنه كان يلون في أسلوب الخطاب في كل مرة؛ فيلجأ إلى استحضار التاريخ تارة كما فعل في (حليب أسود) و(الخروج إلى الحمراء)، وإلى الرمز تارة أخرى كما فعل في (ريح النار المقبلة – بوذا) و(الفلسطيني)، وينوع في عرض الحكاية كما فعل في (فضاء الأغنيات) (٢٣) ، ليختتم مشواره الطويل مشعراً بهذا الدفء الأبوي يعم الجميع على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم.

ثانياً : دأب المتوكل طه على الاختلاف المغلف مع القائد، وخصوصاً في ما يخص الحاشية وعلى رفع صوته عالياً، ولم يرفض القائد يوماً سماع صوته، دلالة على عمق العلاقة الخاصة بينهما، وقرب المتوكل من القائد هياً له خصوصية في عرض آرائه ربما ما كان القائد يمنحها لأحد غيره، الأمر الذي قاد المتوكل إلى هذه القصيدة الخاصة والمعبرة عن خصوصيتها.

ثالثاً : تتواشج هذه القصيدة مع قصيدة (الفلسطيني) ربما لأنهما قيلتا في مدة زمنية واحدة، وتتعاضان لتشكلا وحدة في الجانبين الفني والموضوعي؛ فنياً : القصيدتان من مستويين فنيين مختلفين لكنهما متكاملتان؛ فالبساطة والوضوح في اللغة، والنهوض بالشعور، والتكرار الدال مع القافية الإيقاعية المؤثرة، وإحالات النص إلى نصوص غائبة حاضرة من أبرز السمات الفنية لقصيدة (أبونا) تكمل السمات الفنية لقصيدة (الفلسطيني) التي برزت في الرمز العميق الواعي المقصود والموجه، والاسترسال المترابط، بلغة دالة دقيقة. أما موضوعياً : فقصيدة (أبونا) اتخذت الجانب الأكثر شعوراً ودفئاً لتعبر عن عميق العلاقة بين القائد وشعبه، الأمر الذي حققته نضالات القائد وتضحياته الطويلة من أجل (أبنائه – شعبه) تلك التضحيات بمفاصلها الوعرة الشاقة والمسيرة الطويلة العسيرة التي تحدث عنها الشاعر في قصيدة (الفلسطيني) التي منها قوله (٢٤) :

وكم بح صوت المنادي ، ولم يسمع الأقربون

دفنت وقمت وأبعدك الليل حتى ينام ،

وقمت كما كنت تنفض لحما وظلما ولما

خرجت : إلى أين ؟ قلت إلى ماسة

المستحيل .

القصيدة الثانية التي بين أيدينا هي قصيدة الشاعر عبد الناصر صالح (السندباد يكشف عري العواصم) من ديوانه (فاكهة الندم)، هذه القصيدة تبين شكلا آخر من أشكال العلاقة مع القائد، وتمتاز بأن لها نقيضا مباشرا في الكيفية التي أتوقف عندها، وسيأتي الحديث عن نقيضها في الجزء القادم من هذه الدراسة * - إن شاء الله - . وقد سبق وأن توقفت عند سندباد صالح (٢٥) ، الذي يعطيه في كل مرة شكلا خاصا، وهذه المرة كان القائد الذي يطوف في العواصم فيكشف زيف ادعاءاتها ويفضحها فتبدو للعيان عارية، هو السندباد، القائد الباحث عن الفرحة للآخرين، الذي يتقاطر وجهه حبا، سيد العشقين، ومرفاً الحلم، و.. و .. السندباد الذي يطوف ويعود، ثم هو في تطوافه لا يمل ولا يستكين، ويطوف بحثا عن وطن ضيعه الخادعون والغادرون (٢٦) :

لمن تنشد الفرحة المتجذر في عقب الأغنيات،

لمن يتقاطر وجهك حبا

لمن تستوي القبرات على غصن عينيك

يا سيد العاشقين

ويتواصل سحر السندباد العالق بين حب الشعب والتضحية من أجله، وبوصلة يحاول الاهتداء بوساطتها إلى الوطن، الذي يحمل كل أعبائه، حتى يصل صالح إلى اللحظة المناسبة التي أطال التمهد لها، معبرا عن كثير من الحب للقائد، وعن كثير من الإيمان به وبقدرته على قيادة دفة الثورة والمقاومة، وعن القناعة بإيمانه الذي لا يرده راد على الرغم من (٢٧) :

تميد بك الأرض يا سندباد

وليس سوى الريح تحميك

ليس سوى الخيل والمدن الوارفات

الحدود الفواصل، والأعين البارقات

تتاجيك

تخلع عنك قشور التغرب

الهم الواحد يستدعي الشعور بالمسؤولية التاريخية تجاه الوطن والقائد، ولا يكون النصح استهانة بالمنصوح أو برأيه، ولا شعورا بأنه غير قادر على اتخاذ القرار المناسب، ولكنه في الغالب يأتي نتيجة الحرص، لذا يغتنم صالح الفرصة وها هي اللحظة المناسبة تحين ليقدم للقائد شعورا إنسانيا نبيلًا نابعا من خوفه على القائد التاريخي من الحاقدين ليقول (٢٨) :

حاذر

فإن الميادين ضاقت بما احتملت
والضباب – على شط أحلامك المستريب
يجمع أحقاده
والسراب – على جفن عينيك –
بيني خرائبه
والمسافة تنأى
فحاذر
ولا تتقاعس عن الاقتحام
ولا تتوخ الغشاوة واللحظة الماكرة .

فهو التأدب مع القائد إذن، حتى في أفعال الأمر التي ينبغي أن تتخذ طرقا خاصة ويكون لها فهم خاص أيضا، مهد لها صالح بأدب جم، وبرغم تكرار (حاذر) التي تختلف دلالتها عن دلالة (احذر) بما فيها من ذوق وتأدب واحترام، حيث تشير الثانية إلى إلقاء الأمر المباشر وكأن على المتلقي (المخاطب) التنفيذ الإجباري بما تحويه من قطع (احذر) مقابل التمهّل في الأولى (حاذر)، برغم تكرارها إلا أنها عكست ودا وألفة طويلة مع فكر القائد، عبر عنها الشاعر بمقدمات تدل على القصدية في دقة الاختيار للألفاظ والجمل التي لا تليق إلا أن تكون موجهة إلى مقام قائد عظيم (٢٩) يقول :

فلا تعقد العزم - يا سندباد - على السير

في ركب من خدعوك

هم الآن للموت قد أسلموك

فحاذر

وحاذر

ولعل مما دفعني إلى الوقوف عند هذه القصيدة دون غيرها – على الرغم من وجود أفكارها في كثير من قصائد الشعراء – هذه الألفة التي يستشعرها المتلقي عند قراءة القصيدة، ألفة بين الشاعر والقائد وألفة بين الشاعر والكلمات وألفة بين القصيدة والمتلقي، فتجد الشاعر وكأنه يتحدث باسمك بقصد أو بغير قصد، ومثلما يدخل القصيدة يخرج منها بألفة لا يستطيعها إلا شاعر يمتلك زمام الكلمات، على الرغم من أن ما بين البداية والنهاية دلالات كثيرة تحتاج إلى مزيد من التحليل وقد آثرت أن أختصر الآن لضيق المجال، يقول الشاعر في نهاية القصيدة (٣٠) :

لا لحن يصدح في رئة الأرض إلا لأجلك

لا شعر ينزف من شفة الجرح

إلا لأجلك

لا عشب ينمو على جذع أرواحنا

ويكابر

إلا ليلمس جبهتك العاطرة .

الاتجاه الثاني :

لم يكن الفلسطينيون يوماً ضمن اتجاه فكري واحد، شأنهم في ذلك شأن بقية شعوب الأرض، ناهيك أنهم عاشوا ظروفًا مختلفة عن كل شعوب الأرض في كل شيء، وخصوصاً في تعرضهم لدهاقنة الدهاء والغدر الصهيوني، ففي الوقت الذي وقف جزء من الفلسطينيين مع ياسر عرفات في الموقف السياسي الذي بات يتجه إلى السلام وعقد معاهدات مع الكيان الصهيوني بغية إحلال السلام على هذه الأرض التي توصف دائماً بأنها أرض السلام، وقف جزء آخر غير مؤمن بإقامة سلام مع عدو لا يعرف أي معنى للسلام، معترضين فكرة السلام مع الصهاينة، وليس فكرة السلام العادل والشامل الذي يقوم على إحقاق الحقوق، فلا أحد من الفلسطينيين يكره فكرة السلام التي أيدتها كل الشرائع السماوية والأرضية وكل المواثيق والقوانين الدولية، لكن التجربة الفلسطينية مع الصهاينة مرة وشاقة، ولا تسمح لنا أن نجربهم مرة أخرى بعد كل ما فعلوه بنا من قتل وتهجير وعنف وإرهاب. من هنا كانت فكرة الاتجاه الثاني، وهذا كان لسان حالهم، فوجدنا منهم من هاجم شخص القائد عرفات، ومنهم من هاجم فكره، ومنهم من هاجم فكرة إقامة سلام مع الصهاينة، كل ذلك بطرق مختلفة، معظمها مغلفة، وأكثرها لا تذكر القائد باسمه، وفي هذا دلالة على أن السلام مع الصهاينة هو المرفوض عندهم وليس القائد ولا السلام. يقول الشاعر لطفي زغلول في قصيدة بعنوان (باعوك في المزاد) (٣١) :

خانوا ضمير أمة أبية

مدوا يد التطبيع للأعادي

صاروا دعاة لسلام كاذب

الشعب في واد وهم في واد

وفي قصيدة أخرى يقول (٣٢) :

الهيكل المزعوم لن يعلوا له

صرح .. وينفخ قرنه حاخام

يا ويحهم زعموا بأن المسجد الـ

أقصى عليه مشيد ومقام

بشراك أولى القبلتين وثالث الـ

حرمين ..دونك لن يكون سلام

يتضح جليا أن المقصود بهذا ليس القائد ياسر عرفات، ولكن السلام الذي لا يحقق للفلسطينيين أهدافهم في الحرية والتحرير، والذي يثير الدهشة عند الشاعر وغيره هذا الإسراع في مد يد السلام للذين لا يعرفون السلام، وإذا كان للفلسطينيين أن يتوجهوا للسلام لأنهم هم الذين يعانون، وهم الذين في وسط الأحداث، فليس للعرب أن يهرولوا باتجاهه قبل أن يقبل الفلسطينيون به، لذا كان قول الشاعر (مدوا يد التطبيع).

وأمامي مجموعة كبيرة من القصائد التي تتحدث عن مثل هذه الدلالات بصيغ متقاربة، في الموضوع وفي الجوانب الفنية أيضا، ومثالها قصيدة للشاعر محمد الأخرس بعنوان (هذا السلام؟؟) من ديوانه(عزف على وتر المرحلة) يبدأها بقوله(٣٣) :

قد عاد يزحف منهك الخطوات مسموم القوام

قد عاد يزحف والسلام ..

عيناه جاحظتان . أثقلها الدوران

ويدها تمتدان .. ترتجفان

تشتدان في نيل المرام

هذا السلام ؛

محض اشتعال كلام

وهنا يبدو نقيض عبد الناصر صالح في طريقة الخطاب للقائد، ذاك يخاطبه بهدوء وروية وكثير من التهذيب كما تبين سابقا، أما هنا فالشاعر لا يؤمن بالفكرة التي يقودها القائد فاختلّف في طريقة تصويره للموقف كله، فهو يوحي بأن القائد مستميتا لتحقيق اللقاء مع الصهاينة بغية اللقاء بهم فقط، وهذا بتأثير صدمة السلام فليست الحرب وحدها تحدث صدمة وإنما السلام أيضا الذي لا يتم التحضير له جيدا، ولا يكون الجميع مستعدا له، ولماذا هذا الهجوم على السلام؟ (٣٤) :

كيف ينتشر السلام!؟

والظلم يعصف والمنون ، والفقر ينتزع السكون

والبغي ينسف ما تراءى من هيام

والأرض تسرق آه في وضح النهار

والناس تغرق في الهموم ،

وتنام تنتظر السلام

إذن هؤلاء الصهاينة باستمرارهم في احتلال الأرض وتوسيع المستوطنات والاعتداء على الفلسطينيين، هم لا يريدون السلام، ولسنا نحن، فهم (٣٥) :

كم يتقنون الغش والتزوير تحريف الكلام

تمتد أيديهم .. على مرأى النهار .. وفي الظلام

تمتد بالموت الزؤام

والشاعر لا يرى أن الحالة تتوقف عند الندب واللوم وتقريع السلام ومن يقفون معه، ويسعون لتحقيقه بل هو يلوم الذين يؤمنون به، لأنه لا يؤمن مطلقاً بأن من الممكن تحقيق أي نوع من السلام مع هؤلاء القتلة الذين يمدون يداً للسلام وباليد الأخرى يقتلون. وهو يستمر بهذا إلى نهاية القصيدة حيث يقول (٣٦) :

ولتطمئن ،

كل الدوائر لا تدور

سوى على الباغي المحاصر بالسواعد

والسلام ..

فعليك يا وطني السلام

وعليك من دمنا السلام .

ياسر عرفات كان قصيدة عنوانها استشهاد، وعندما وضع العنوان بكت كل القلوب التي أحبتة ونبضت باسمه، ونبض في حياته باسمها، وإذا ما حاولت أن أدرس الشعر الذي قيل في استشهاد وحده، فسيكون لدي كم كبير جداً لا يتسع له بحث في عدد من الصفحات ضئيل، كهذا وقد فوجئت بها، غير أنني أخذت نموذجاً فنياً عالياً عبر عن كثير من أفكار القصائد التي قيلت في استشهاد القائد مجتمعة، تلك هي قصيدة الشاعر سميح القاسم (موت ذاك؟ أم خدر؟!) التي تبدو وكأنها ارتجالية قيلت أمام نعش الراحل الشهيد ياسر عرفات، يبدأها وكأنه في حديث ودي - على عادته مع القائد - وكأن القائد يستمع إليه (٣٧) :

إذن تنام . ويخبو الشمع والشرر

وكان دأبك لفح النار والسهر

إذن تنام . وكم من يقظة يسرت

بما رغبت إلى أن أعسر القدر

فلا سرير سوى نعش هزئت به
والآن يهزأ : عندي تنتهي السرر
أخي .. ورب أخ .. عشنا لوالدة
أزواجها الحزن والحرمان والخطر

ويستعرض الشاعر قصة الراحل بإيجاز بحمل كل قصص البطولة والنضال
والفداء التي عاشها الشهيد، كما عاشها الشعب الذي ينكب باستشهاد قائده، مصاب جمل وكأن
الشاعر ما زال غير مصدق، فشريط الذاكرة الطويل يستعرض أمامه ببطء شديد، ومع كل لحظة
من لحظاته هم وأمل، وأما الآن فقد ثبتت الأحداث بنهايتها المؤلمة، لكنه قبل ذلك كله يستعرض
رحلة الشهيد الطويلة مع شيء من الحسرة على انقضاء تلك الرحلة، حتى يقول (٣٨) :

وأرجحتك على الأوجاع غاشية
وزلزلتك رؤى تذرو وتعتصر
وأرهصت ثورة في نكبة وعلت
من الركام يد .. فالرعد والمطر
وللحطام يد تعلقو . وألف يد
وراية . ونشيد نبضه بشر

وهكذا يستمر القاسم في قصيدة هي أقرب إلى البكائية الراحية، فيها حب للشهيد الراحل
وفيهما استعراض لتاريخ الحلم الفلسطيني الذي حمّله، والذي حملناه معه، وفيها كثير من صفاته
الشخصية، وفيها تثبيت لأهمية وجوده، التي حاول أن يستغلها المستغلون، لكنهم عادوا خائبين :

وفي هبوطك من أغوت نواز عهم
غنائهم كبرت . لكنهم صغروا
توسموا فيك خير الذات فانتهزوا
ليلا وفروا نهارا كيفما انتهروا

وقد جمع الشاعر في هذه القصيدة بين أسلوب الرثاء في الماضي وروح العصر؛ إذ
استعرض مناقب المرثي مبينا جميع الصفات الإنسانية له، ومواقف البطولة والشهامة عنده
بوصفه قائدا، كما بين منزلته بين القادة المعاصرين وكيف أنه تميز عنهم في ذلك كله، هذا من
ناحية أما من الناحية الأخرى فقد عرض للحاضر بمشكلاته ومعطياته المعاصرة نقدا وتدقيقا
وتوضيحا وفضحا وعرضا للتمييز العنصري الذي يسم حاضرنا، يقول :

وهيئة الأمم الشقراء لاهية
والسمر والصفير ما غابوا ولا حضروا
ومجلس الأمن في أمن محاضره
عزت فهان لديها البدو والحضر
وعدل لاهاي سفر حبره دمنا
وفي صحائفه عن موتنا خبر

ويظل كذلك إلى أن ينهي القصيدة بمثل ما ابتدأها به، مستنكرا أن يكون هذا الذي يخطف
القائد منا هو الموت :

ويا ضريح أخي قلبي على شفتي
وإنني بنواهي القلب مؤتمر
أضمرته جسدا والروح ماثلة
ويضمر الشك . موت ذاك؟ أم خدر!؟

وبهذه الختامية الحزينة المستنكرة ينهي الشاعر قصيدته التي تخاطب أعرق ما فينا من
حزن على رحيل القائد .

هوامش القسم الثاني:

- ١- ينظر . مركز الاعلام والمعلومات الفلسطيني (موقع الشبكة العنكبوتية) .
- ٢- أبو نزار . صخر : قصائد مختارة ، مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع ، ط/١ ، ١٩٩٨ ، ص٧٣ .
- ٣- فرج . الشيخ علي (أبو الحسن) : ملحمة الانطلاقة ، إصدار " فتح" القطاع الريفي ، ب.بت ، ص٤ .
- ٤- القاسم . سميح : الديوان ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص٥٧٥-٥٧٦ .
- ٥- حبش . زينب : حفروا مذكراتي على جسدي ، العنقاء للتجديد والإبداع ، ١٩٩٧ ، ص٥٢-٥٣ .
- ٦- ينظر . حبش . زينب : قصيدة " قل له يا أبا عمار " في ديوان (أغنية حب للوطن) ، ط/١ ، ١٩٩٥ ، ص٤١ . وقصيدة " القدس على مرمى حجر " في ديوان (قولي للرحيل) ، دار الكاتب ، ١٩٩٣ ، ص٨٣ ، وغيرها .
- ٧- القاسم . سميح : الديوان ، مقدمة مطاع الصفدي ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٧ ، انظر ص ١٩-٢٠-٢١ . وانظر القصائد التي شوهاها مقص الرقيب الصهيوني ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ،
- ٨- نصره . خالد : شواطئ الضباب ، مطابع الهيئة الخيرية ، غزة ، ١٩٨٧ ، ص٣٧ .

- ٩- بطة . جابر : أناشيد الفارس الكنعاني ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ١٩٩٦ ، ص ٧ .
- ١٠- فرج . علي : ملحمة الانطلاقة ، ص ١٤ .
- ١١- نصره . خالد : شواطئ الضباب ، ص ٤٤ .
- ١٢- درويش . محمود : الديوان ، مج/٢ ، ط/١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٤ ، ص ٩-١٠ .
- ١٣- شريم . محمد : صدى الوطن ، دار الكاتب ، ١٩٨٥ ، ص ٤١ .
- ١٤- م . ن ، ص ٤٢ .
- ١٥- جاموس . محمد أحمد : مختارات ، مكتب المستقبل للخدمات الصحفية ، أريحا ، ١٩٩٥ ، ص ٦٩ .
- ١٦- الأنفال ، ٦١ .
- ١٧- بدوي . مرزوق : المطر والرحيل ، ١٩٩٣ ، ص ٥٠-٥١ .
- ١٨- ينظر . شحاده . محمد : قصائد إلى عرفات وأطفال الانتفاضة ، قصيدة " على دلعونا للسلطة الوطنية " مثالا ، منشورات العقل ، ١٩٩٣ ، ص ٧٢ .
- ١٩- ينظر . شعث . أحمد جبر : الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع ، خان يونس ، الإصدار الأول - ٢٠٠٢ ، ص ٣٣٧ وما بعدها . ونصر . عاطف جوده : النص الشعري ومشكلات التفسير ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٦ ، ص ١٥٤ وما بعدها . وغيرها .
- ٢٠- في مقابلة خاصة قال لي : " أنا أعتقد أنني أكثر شاعر تحدث عن عرفات في شعره " .
- ٢١- ٢٢- طه . المتوكل : قصيدة " أبونا " وقد حصلت عليها من الشاعر مطبوعة مفردة . وليست في ديوان .
- ٢٣- ينظر . طه . المتوكل : المؤلفات الشعرية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط/٢٠٠٣ ، ص ٤٨٣ .
- ٢٤- طه . المتوكل : قصيدة " الفلسطيني " وقد حصلت عليها من الشاعر مطبوعة مفردة . وليست في ديوان .
- * علما بأنني أقوم بدراسة ظاهرة تواتر الدلالات في شعر عبد الناصر صالح في هذا الوقت ، ومنه هذه القصيدة .
- ٢٥- ينظر . الجوهر . زاهر : شعر المعتقلات في فلسطين - ١٩٦٧-١٩٩٣ ، المركز الثقافي الفلسطيني - بيت الشعر - ، رام الله ، ط/١ ، ١٩٩٩ ، ص ٢٢٥ وما بعدها .
- ٢٦- صالح . عبد الناصر : فاكهة الندم ، المركز الثقافي الفلسطيني - بيت الشعر - ، رام الله ، ط/١ ، ١٩٩٩ ، ص ٧٢ .
- ٢٧- م . ن ، ص ٧٣ .
- ٢٨- م . ن ، ص ٧٤ .

٢٩- م. ن ، ص ٧٥ .

٣٠- م. ن ، ص ٧٧ .

٣١- ز غول لطفى : موال في الليل العربي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، ٢٠٠٤ ، ص ٨٣ .

٣٢- م. ن ، ص ٨٢ .

٣٣- الأخرس . محمد : عزف على وتر المرحلة ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، ٢٠٠٠ ، ص ١٦ .

٣٤- م. ن ، ص ١٦ .

٣٥- م. ن ، ص ١٧ .

٣٦- م. ن ، ص ١٩ .

٣٧- القاسم . سميح : قصيدة " موت ذاك ؟ أم خدر ؟! " مجلة الأسوار ، ع/٢٧ ، ص ٨٣ .

٣٨- م. ن ، ص ٨٣ .

خاتمة

عندما بدأت هذا البحث كان يدور في ذهني تصور عما سيكون عليه ، لكنني عندما بحثت اختلف التصور ، وقادني البحث إلى حيثيات لم أخط لها من قبل ، فخلصت إلى : أن الشعر الذي قيل في القائد ياسر عرفات في حياته وفي استشهاده ، يساويه بالقضية الفلسطينية التي حملها منذ مرحلة مبكرة من حياته في نواح كثيرة . ثم إن القضية الفلسطينية – خلال هذه المرحلة- يمكن أن تدرس من الشعر الذي قيل في القائد عرفات ، فقد بدأ نجمه بالسطوع في مرحلة مبكرة من تاريخ الثورة الفلسطينية المعاصرة ، وتحديدًا مع ظهور منظمة التحرير الفلسطينية ، التي تزعمها منذ خطواتها الأولى ، وظل كذلك أبا روحيا لحركة التحرير الوطني الفلسطيني " فتح " ، الأمر الذي أهله ليكون في ضمائر الشعراء أبا وأخا وقائدا ورئيسا ورمزا ، فكان كذلك .

وقد امتاز شعر الأرض المحتلة الذي تغنى بالقائد ياسر عرفات بالصدق والموضوعية والعمق والصراحة والفنية العالية في مجمله ، على الرغم من سطحية بعضه وضعف جزء منه ، والمباشرة والخطابية في جزء آخر ، ووجدنا وسط ذلك كله قصائد مثلت حالة خاصة في العلاقة مع القائد ، فاحتل عددا كبيرا من قصائدهم ، بل ودواوين برمتها أحيانا ، ومنهم من أبرز خصوصية تلك العلاقة ولم يبقها مغلقة ، لقربه من القائد أو لشعوره بالقرب منه .

في الجانب الآخر وجدنا شعراء وقفوا مناقضين لخطوات اتخذها القائد ، وأعلنوا تلك المعارضة صراحة ، وقد شكل هؤلاء حالة صحية وديمقراطية خاصة ، سعت لتحقيق ما هو أفضل ، على الرغم من أن ما قرأناه في قصائدهم لم يكن المقصود فيه شخص القائد عرفات وإنما بعض الأفكار التي طرحها ومارسها في الواقع .

وخلص الباحث إلى أن الشعر الفلسطيني في داخل الأرض المحتلة ، عبر بصورة مميزة عن كثير من الأمور ، وفي مقدمتها إقدام عدد من الشعراء على التصريح بما هو ممنوع

جملة وتفصيلا في وقت كان الاحتلال الصهيوني في فلسطين يحارب الكلمة المقاتلة والفكر الفلسطيني الحر، ويعمل جاهدا على ربط الثقافة الفلسطينية بمفاهيم صهيونية، وذلك لفرض ثقافة المحتل على الشعب الواقع تحت الاحتلال؛ لتسهيل السيطرة عليه وتدجينه ونهب ثقافته الخاصة وتراثه وتاريخه. فعبّر الشعراء الفلسطينيون عن جانب من تمسكهم بهويتهم الوطنية عن طريق التعبير عن حب الثورة وقائدها، الذي استحق أن يكون كذلك بجدارة، وهو القائد ياسر عرفات أبو عمار الذي دفع روحه فداء للأرض، وكان استشهاده عنوانا لمسيرته النضالية الطويلة.

وفي الختام أمل أن أكون قد وفقت لما فيه الخير .

والحمد لله أولا وآخرا .

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- أحمد حسن الزيات وزملاؤه : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية القاهرة، ١٩٦٠ .
- ٣- أحمد جبر شعث : الأسطورة في الشعر الفلسطيني المعاصر ، مكتبة القادسية للنشر والتوزيع ، خان يونس ، ط/١ ، ٢٠٠٢ .
- ٤- أمين الخولي : فن القول ، دار الفكر الري ، ١٣٦٦ - ١٩٤٧ .
- ٥- جابر بطة : أناشيد الفارس الكنعاني ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، ١٩٩٦
- ٦- الجاحظ : الحيوان ، ت: عبد السلام هارون ، ح/٢ ، مصر ١٩٤٥ .
- ٧- خالد نصره : شواطئ الضباب ، مطابع الهيئة الخيرية ، غزة ، ١٩٨٧ .
- ٨- زاهر الجوهر حنني : شعر المعتقلات في فلسطين – ١٩٦٧- ١٩٩٣ ، المركز الثقافي الفلسطيني- بيت الشعر - ، رام الله ، ط/١ ، ١٩٩٩ .
- ٩- زينب حيش : حفروا مذكراتي على جسدي ، العنقاء للتجديد والإبداع ، ١٩٩٧ .
- ١٠- سميح القاسم : الديوان ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٧ .
- ١١- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي – العصر الإسلامي – ج/٢ ، دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٣ .
- ١٢- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي- العصر العباسي الأول- ج/٣ ، دار المعارف ، بمصر ، ١٩٦٣ .
- ١٣- صخر أبو نزار : قصائد مختارة ، مؤسسة العنقاء للتجديد والإبداع ، ط/١ ، ١٩٩٨ .
- ١٤- عاطف جوده نصر : النص الشعري ومشكلات التفسير ، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان ، القاهرة ، ط/١ ، ١٩٩٦ .
- ١٥- عبد الكريم أبو خشان وزملاؤه : محاورات عقل في الأدب والثقافة ، المركز الثقافي الفلسطيني – بيت الشعر - ، ط/١ ، ١٩٩٩ .
- ١٦- عبد الناصر صالح: فاكهة الندم ، المركز الثقافي الفلسطيني – بيت الشعر- ، رام الله ، ط/١ ، ١٩٩٩ .

- ١٧- علي فرج (أبو الحسن) : ملحمة الانطلاقة ، إصدار "فتح" القطاع الريفي ، ب.ت .
- ١٨- غالي شكري : أدب المقاومة ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط/٢ ، ١٩٧٩ .
- ١٩- قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، ت . كمال مصطفى ، ب.ت .
- ٢٠- كعب بن زهير ، شرح ديوانه ، صنعة : أبي سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٥٠ .
- ٢١- لبيد بن ربيعة ، ديوانه ، ت : د . إحسان عباس ، الكويت ، ١٩٦٢ .
- ٢٢- لطفي زغول: موال في الليل العربي ، اتحاد الكتاب الفلسطينيين ، القدس ، ٢٠٠٤ .
- ٢٣- المتوكل طه: المؤلفات الكاملة – الشعر – رام الله ، ٢٠٠٥ .
- ٢٤- مرزوق بدوي : المطر والرحيل ، نابلس ، ١٩٩٣ .
- ٢٥- مجموعة : محمود درويش المختلف الحقيقي ، المركز الثقافي الفلسطيني – بيت الشعر – ط/١ ، ٢٠٠٠ .
- ٢٦- محمد أحمد جاموس : مختارات ، مكتب المستقبل للخدمات الصحفية ، أريحا ، ١٩٩٥ .
- ٢٧- محمد شحاده : قصائد إلى عرفات وأطفال الانتفاضة ، منشورات العقل ، ١٩٩٣ .
- ٢٨- محمد شريم: صدى الوطن ، دار الكاتب ، ١٩٨٥ .
- ٢٩- محمود درويش : الديوان ، مج/٢ ، ط/١ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- ٣٠- مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، ط/٢ ، ١٩٨١ .
- ٣١- نوري حمودي القيسي وزملاؤه : نصوص من الشعر العربي قبل الإسلام – دراسة وتحليل – جامعة بغداد ، ١٩٩٠ .

الدوريات :

مجلة الأسوار – عكا ، ع/٢٧ ، ٢٠٠٥ .

مجلة علوم انسانية WWW.ULUM.NL السنة السادسة: العدد ٤٠: شتاء ٢٠٠٩ - 6th Year: Issue 40 Winter